﴿الفصل الخامس﴾

القافية والتناغم الموسيقي

معنى القافية :

يتحدد معنى القافية من التناغم الموسيقى لحرف الرويّ واتفاقه مع أحاسيس الشاعروهي اشتراك بيتين أو أكثر في الحرف الأخير.

ومبحث علم القافية ضروري وحركته فائدتها ضبط الايقاع حتى نعرف النسق الذي رسم للشعر والانفعال الذي يتلاءم بين القافية وموضوع القصيدة ، فلو أخذنا مثالا

قصيدة غربة وحنين "للشوقي" التي يقول فيها :

اختلاف النـــهار والليـــل ينســـى اذكرا لي الصـــبا وأيـــام أنســـي

نجده يختار حرف الرويّ السين المكسورة وهي حرف من حروف الصفير يتلاءم والكسر مع الاحساس بالألم وقد تتسبب القافية في ثقل الموسيقا مثل قصيدة صخرة الملتقي

للدكتور ابراهيم ناجي التي يقول فيها :

ســـألتك يـــا صـــخرة الملتقـــي مـــتى يجمـــع الـــدهر مـــا فرقـــا

ولذلك نقول يجب أن تكون القافية ملائمة لموضوع القصيدة ولعاطفة الشاعر.

تعريف القافية :

عرف العروضيون القافية بأنها الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري وقد تكون القافية كلمة واحدة مثل

قول الشاعر :

فلـــو أن الحيـــاة بنـــا اســـتقرت لصـــار الحـــب نبعـــا في غـــدير

وقد تكون القافية بعض كلمة مثل

قول الشاعر :

كلمـــا لاح في العيـــون ســـنا ظل قلـــبي الشـــغوف في الخفـــق

فالقافية هنا هي حروف الخاء والفاء والقاف والياء الناتجة من اشباع الكسرة

وقد تكون القافية كلمتين مثل قول

أمرئ القيس :

مكر مفـــر مقبـــل مـــدبر معـــا كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالقافية في هذا المثال كلمتا (من ، عل)

حروف القافية :

وهي تتكون من حروف متحركة وحروف ساكنة وهذه الحروف لها اسماء هي :

١- الروي : وهو الحرف الذي بنيت عليه القصيدة وتنسب اليه مثل سينية شوقي وعينية البارودي ونونية ابن زيدون وهكذا ...

وةالروي لا يكون حرف مد مثل

قول مطران :

إني أقمـــت علـــى التعلـــة بـــالمنى في غربـــة قـــالوا تكـــون دوائـــي

فلا يقال ان القصيدة يائية ولكن يقال همزية ، ولا يكون حرف الهاء

كقول الشاعر :

للفـــتى عقـــل يعـــيش بـــه حيـــث تهـــدي ســـاقه قدمـــه

فليست الهاء حرف الروي ولكن الميم ، والروي يسمى مطلقا اذاكان متحركا

كقول الشاعر :

صليت في الروضة الفيحاء يؤنسني وجه جميل بشـــوش مزهـــر قمـــر

ويسمى الروي مقيدا ان كان ساكنا

كقول الشاعر :

الام البعـــاد وهـــذا الضـــجر وليل الجـــوى عاصـــف مكفهـــر

٢- الوصل : وهو الحرف الذي يأتي بعد الروي ، كحرف المد الذي أشبعت به حركة الروي أو هاء جاءت بعد حرف الروي.

٣- وحروف المد هي (الألف – الياء – الواو) مثل

سألتك يا صخرة الملتقي متى يجمع الدهر ما فرقا والياء مثل :

اختلاف النـــهار والليـــل ينســـى اذكرا لي الصـــبا وأيـــام أنســـي

والواو مثل :

نشينا العلا والعصر يركض حولنـــا وهرول منا القـــانطون وأســـرعوا

٤- الخروج : وهو حرف المد الناشئ من اشباع حركة الوصل ومثاله (الألف) في (فرقا) و (الياء) في(أنسي) والواو في (واسع) في الأبيات السابقة.

٥- الردف : هو حرف المد الذي يكون قبل الروي ولا فاصل بينهما وحرف الردف في القصيدة قد يكون واوا مرة وياء مرة أخرى

كقول الشاعر :

أيهـــا الآســـر الحبيـــب هـــزني الشـــوق والغـــروب

٦- التأسيس : وهو الألف التي يكون بينها وبين الروي حرف كقول ابن حنديس :

الطلـــول الـــدوارس فارقتـــها الأوانـــس

٧- الدخيل : هو الحرف المتحرك الذي يقع بين التأسيس والروي مثل كلمة أوانس في بيت ابن حنديس.

ويكون هذا التقسيم في كل من الشعر التقليدي وشعر التفعيلة ، ومعرفة هذه الأحرف يعمق التواصل بين المعنى والمبنى والايقاع النغمي الذي يتناغم مع الأحاسيس والمشاعر.

أقسام حروف الروي :-

ولكن ما الحروف التي يجوز عدها رويا ؟ وما الحروف التي يمتنع عدها رويا ؟

قد تتشابك اجابة السؤلين مع ما قلناه ، وعموما تنقسم حروف الروي من حيث الجواز أو الامتناع الى ثلاثة أقسام :

(ب) ما يصح ان يكون رويا مثل : الألف الأصلية في حسني ،

وكبري وصغري والياء الأصلية الساكنة المكسور ما قبلها مثل :

القاضي وياء النسب المختلفة مثل مصري والواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها مثل يرجو والهاء الأصلية المتحرك ما قبلها مثل المتشابك أو تاء التأنيث ساكنة أو متحركة مثل : (بانت ، عمتي) وكاف الخطاب مثل : سألتك والميم اذا سبقتها الهاء والكاف مثل : لديكما.

(ت) ما لايصح أن يكون رويا مثل : حروف المد والهاء وقد تكلمنا عن ذلك من قبل والتنوين بأنواعه ونون التوكيد الخفيفة.

عيوب القافية :

قد لا تظهر حروف القافية بالشكل المعهود في شعر التفعيلة ، لأننا نعد القافية من تمام المعنى ولذلك قد تكرر كلمة الروي بلفظها ومعناها دون أن يفصل بين الأبيات فاصل ، فإذا كان التكرار لا يعمل على تعميق المعنى وتركيزه وتكثيفه فالتكرار هنا يعد ترهلا في المعنى يضعفه ويقلل من تناغمه وعموما بعد أن سردنا هذه المقدمة

فالقافية لها عيوب سبعة وهي :

١- الايطاء : وهو اعادة الكلمة بلفظها ومعناها دون أن يفصل بين اللفظين سبعة أبيات ، وقد استثنى علماء العروض من الايطاء تكرار ما يلتذ تذكره.

٢- التضمين : وهو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده ،

٣- وقد جوز علماء العروض التضمين فيما لا يتم الكلام الا به كجواب الشرط والقسم والخبر والفاعل والصلة

كقول الشاعر :

يا أخي إن ضمنا في موكب الدنيا زحام
ومضينا للغد الموعود نبني للسلام
في هجير ضاحك الظل يندبه الغمام
فاحذر الزهر الذي في هدبه سم السهام

٤- الاقواء : وهو اختلاف حركة الرويّ من ضم الى كسر وهذا الأمر يدل على قلة الدراية بعلوم النحو والصرف

كقول حسان ابن ثابت :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام العصافير

كأنهم قصب جفت مثقب نفخت فيه الأعاصير أسافله

فالراء في العصافير مكسورة والراء في الأعاصير مرفوعة.

٥- الاصراف : وهو اختلاف حركة الرويّ بالفتح وغيره من كسر أو ضم.

٦- الاكفاء : وهو اختلاف الرويّ بحروف متقاربة المخارج كاللام والنون.

٧- الاجازة : وهو اختلاف الروي بحروف متباعدة المخارج كاللام والميم وقد أباح الشعر التفعيلي الافلات من قيود القافية وجعل القافية تتلاءم مع الأحاسيس الباطنية للشاعر، كذلك دعا الى توافق ايقاع الحروف بما يتناسب مع نفسية الشاعر.

والقافية وإن كانت الشق الثاني للإيقاع الموسيقي الا أنه يجب أن تتوافر فيها

عدة شروط ليتحقق الجمال فيها هي :

١- ان تكون نابعة من معنى البيت.

٢- أن تتناغم أحرفها بما يتوافق مع عاطفة الشاعر

٣- أن تكون غير متكلفة أي تكون غير مجلوبة للقافية.

٤- أن تكون موسيقاها ملائمة للجو النفسي.

والشاعر المبدع لا يخضع لضرورات الوزن والقافية بل يستغلهما لإفادة المعنى وتعميق الشعور بما يستطيع أن يبين أسرار وخوالج النفس الانسانية.

الموسيقا الخفية :

وهي أشد تغلغلا في النفس الانسانية وأصدق تعبيرا عن مشاعر الشاعر وأحاسيسه وهي أهم كثيرا من الموسيقا التي تظهر في الوزن والقافية ، والموسيقا الخفية تنبع من انتقاء الألفاظ ومدى ملائمتها للمعنى ومدى ما تضفيه من دلالات موحية تتغلغل وتتناغم مع أعمق أعماق النفس الانسانية فهي تضفي حسن الأداء وترابط الأفكار وجمال التصوير على العمل الأدبي بما يجعله يصل الى حبات القلوب.

والشعر التفعيلي في جل أحواله يبتعد عن الموسيقا الظاهرة بما تشمله من وزن يضبط النغم نتيجة لتكرار وحداته الموسيقية التي أسميناها التفعيلات والتي وضحناها في شرحنا للبحور الشعرية ، ومن القافية التي لها دور المكمل للوزن في ضبط الايقاع النغمي للأبيات ، لأن الشعر التفعيلي شعر الهمس المبطن بالخيال المجنح والفكر المتوهج.